

تطور شعر الوجدان النسائي المعاصر

بقلم الدكتور محمد مندور

في بعض شعرها الغزلي الوجداني ، بل اننا لنراها تنظم في الغزل ادوارا وموالي شعبية العصور ، تحدثنا المرحومة الانسة مي زيادة عن سماعها لها في فلسطين وسوريا على السنة المغنين مثل دور :

حياتي بعد بعدك نوح ووعدي ضيعك منسي
وانت انت الغدا للروح وليه ترضى البعاد عني
او موالها الذي تقول فيه :

يا الف هلا ملك الحسن اهو قابل وكل مضنى بحسن الامتثال قابل
هاروت لحاظه انى بالسجر من بابل كم من ضني تاهت افكارو وقلبو داب
يا قلب تقبل كده ؟ قال لي نعم قابل

ومع كل ذلك فان من الواجب ان نذكر ان الفترة التي عاشت فيها عائشة التيمورية لم يكن الشعر قد انجبه فيها نحو التعبير عن الذات الفردية وعن الوجدان العاطفي ، فهذا الاتجاه لم يظهر بوضوح ويطلقى على الاتجاه التقليدي القديم الا في اوائل هذا القرن ، وبعد وفاة التيمورية وبفضل دعاء التجديد في الشعر من امثال مطران وجماعة الديوان ، وهم الاساتذة العقاد والمازني وشكري ، ثم شعراء المهجر الذين بشر باتجاههم الشعري الاستاذ ميخائيل نعيمة في كتابه « الغريال » . ومن الممكن ان نقول ان كل هذه المدرسة الشعرية الجديدة قد اتخذت لها شعارا قول عبد الرحمن شكري « يا طائر الفردوس ان الشعر وجدان »

ثم ظهرت في سنة ١٩٣٢ جماعة أبولو ومجلتها الشعرية الخالدة التي عمق اصحابها تذوق الشعر الوجداني واتجاهه نحو التعبير عن الذات في صدق واخلاص وساعدت هذه الدعوة شعر الوجدان عامة والوجدان النسائي خاصة على التحرر من ربة التقاليد المتحجرة في المجتمع وفي الادب على السواء . وفي مثل هذا الجو استطاعت ان تظهر شاعرة وجدانية ذات طاقة قوية مثل جميلة العلايلي صاحبة ديوان « صدى احلامي » الذي رأى فيه الدكتور الشاعر احمد زكي ابو شادي فتحا جديدا في ميدان شعر الوجدان النسائي ، وان تكن هذه الشاعرة قد حدثنا هي نفسها عن شدة تقاليد الاسرة التي نشأت فيها ومحاولتها ردها عن قول الشعر حتى تنصرف بكل جهودها الى تعلم التدبير المنزلي الذي حملتها عليه حملا ، ولذلك نراها لا تزال ترهب تلك التقاليد فتصدر الكثير من قصائدها العاطفية بأقصوصة صغيرة مخترعة تزعم فيها انها تترجم عن عواطف فتاة فيرها ، وذلك مع ان جميلة العلايلي كانت قد اصبحت تعيش في عصر تختلط فيه المرأة المثقفة بالرجل بحيث يمكن ان تمر بها وبغيرها من الفتيات تجارب

يقول الدكتور الشاعر احمد زكي ابو شادي رحمه الله في تقديمه ديوان « صدى احلامي » الذي نشرته سنة ١٩٣٦ الشاعرة المصرية جميلة العلايلي يقول : « ولكي نقدر جميلة العلايلي التقدير الذي تستحقه مواهبها لا يجوز ان تغفل مقارنة ادبها بأدب الجيل السابق ، فاننا حينئذ نجد الفارق شاسعا بين المختار لوردة اليازجي وعائشة عصمت تيمور وأميئة نجيب وملك حفني ناصف وبين مختار شعرها . لقد كانت شواجر الجيل السابق - على قربه منا - حريصات الحرص كله على وأد عواطفهن مراعاة لقواعد الاحتشام المصطنع التي كانت تحتها البيئة ، وكان محرما عليهن شعر الوجدان الفطري . وكانت العاطفة الشعرية عندهن محصورة في الرثاء وفي تحية الاهل وتوديعهم وما الى ذلك . ولكننا في هذا الشعر الجديد نلمح ثورة جديدة على تلك التقاليد البالية فنجد صاحبه كاشفة في اطمئنان وفي شجاعة عن دخيلة نفسها في صدى احلامها المنغومة » .

ولقد يكون هذا الرأي صحيحا في مجموعه ولكنه من الخير والعدل ان نقر لعائشة عصمت تيمور التي ولدت سنة ١٨٤٠ وتوفيت سنة ١٩٠٢ ، بأنها كانت قد تحررت من هذه التقاليد الغاشمة وقالت في الغزل والحب ولواعجه شعرا صريحا ، قد يكون بعضه او كله كما قالت هي بنفسها « في غير انسان ولقصد تمرين اللسان » الا اننا نحس في بعضه بنبض الحياة وحرارتها مثل قولها :

اشكو الغرام وبشتكي جفن تعذب بالسهر
يا قلب حسبك ما جرى احرقك جسمي بالشر
رام الحبيب له الضنى لم ذا وانت له مقرر
لكن تعذيب الهوى ما للشجي منه مفر

ولا غرابة في ذلك فان الحب اذا كان عارضا في حياة الرجل كما تقول مدام دي ستايل فانه حكاية حياة المرأة . ومن غير المعقول ان لا يشغل الحب المرأة وان لا تقول فيه الشعر اذا وابتها الفرصة والممكنات .

كانت التيمورية اذن رائدة شعر الوجدان النسائي المعاصر ولكن التقاليد كانت لا تزال عاتية في المجتمع وفي الادب على السواء . ولذلك رأينا معظم اشعار التيمورية في الغزل لا تنشر الا بعد وفاتها كما رأينا طابع التقليد الاول يطغى على الكثير من هذا الشعر حيث نراها تتحدث عما ألف الحديث عنه الغزل التقليدي من عين وحاجب وخال وخمر ترمز الى الحب ، وزهر يتمايل كعقد المحبوب ، ولكننا مع ذلك لن نعدم كما قلنا الاحساس بنبض التجربة الحية

كم جثته والذكريات تفيض من روحي وقلبي
يمددن حولي ظلهن وينتفضن بكل درب

✱ ✱

هذا مكانك ! كم آتيت الى مكانك موهنا
تمضي بي الساعات لا أدري بها وأنا هنا
روح أصاخ لهتفة الذكرى وللماضي رنا
يتنسم الجو الحبيب ويستعيد رؤى المني

✱ ✱

هذا مكانك مثل روحي فيه احساس كئيب
متحسر .. يصبو الى الماضي .. الى الامس الحبيب
متسائل عن شاعرين ، حواهما حلم غريب
كم رنحا بالشعر جوها ففاض جوى مديب

✱ ✱

هذا مكانك أين انت ؟ وأين اطياف الفتون
المقعد الخالي يحن اليك مرفقه الحنون
أسوان يرمقني وقد أهويت انشج في سكون
ومواجدي ملهوفة النيران تهدر في جنون

✱ ✱

ذنبى الذي قد هاج ثورة قلبك المترفع
كفرت عنه بادمعي بتنهدي بتوجعي
كفرت عنه بما ترى من ذلتي وتخشمي
وبخفض قمة كبريائي الشامخ التمتع !

عاطفية حية . ولكنها التقاليد لا تزال - فيما يبدو - ترغم
فتاة كجميلة في سنة ١٩٣٦ وما قبلها على ان تصدّر
لقصيدة رائعة مثل قصيدتها « عتاب » في ديوان « صدى
احلامي » بقولها : « اعرف الشاعر واعرف حبيبته ، وكنت
اعرف ان حبه مثل الحب الصادق السامي الاكيد ، ولكنه
ملها واجتواها وراح يلهو كما يحلو له كالطائر المنقل ، وهي
كانت لا تعرف في حياتها غير دموعها التي تدرقها على ذاك
الحب الذي مات وهو وليد ، وقد خرجت دموعها من قلبها
فتلقيتها بقلبي .. بكت دمعا فبكيت لها شعرا :

أتري نسيت عواظي يا هاجر أتري صددت عن الهوى يا شاعر
كيف انكفات السى مفان جمّة ونسيت حظي في الجمال الزاهر
كيف انثيت الى الرياض لتجنتي زهرا يرف بغير روح عاطر
ونسيت ان الروض يكنفه الاسى ونسيت ان الحب ليس لحاذر
ونسيت من وهبت اليك فؤادها ونسيت من ركبت اليك مخاطر
ونسيت من بذلت اليك ودادها ونسيت وجدي والجوى يا هاجر؟
ابدا يناجيك الفؤاد وليتسه يجد العزاء عن الحبيب الشاعر
ومضيت تلهو بالقلوب وحظها وتروح تصب بالهوى وتخاطر
او لم أصر مما افاصي في الهوى كالزهر في يوم عبوس ماطر
او هكذا ينسى الفؤاد اليقه او هكذا يجفو الفؤاد السادر
او هكذا تنسى العطوفة في الهوى وتروح ترح في الدنيا وتفاخر ؟
يا هل ترى تلك الخلائق تستوي في القدر ام في الحب ام تتأزر
الخ ...

من هذه المقطوعة وأمثالها في ديوان « صدى احلامي »
نحس ان الشاعرة لم تستطع بعد ان تستكمل حظها من
التحرر الكامل في الحديث عن ذات نفسها ووجدانها
الخاص حديثا صريحا مباشرا . وربما كان هذا من الاسباب
التي منعت الشاعرة من ان تصل الى قمة الفن المرفه .
فهي من جهة تحس - او اوهمت نفسها بأنها لا تتحدث عن
نفسها فلم تغلف الحديث احيانا بشفاقية الشعر المرفه .
وهي من جهة اخرى تكبت من حرارة قلبها مجاراة لما اوهمت
به نفسها من انها تتحدث عن غيرها ولذلك جفت النار فلم
يكن لها ذلك الوهج الرائع الذي نجده عند شاعرات الجيل
الجديد اللائي استكمن حديثهن بل مساواتهن بالرجل في
حق التحدث عن ذاته في شعره والتغني بخلجات وجدانه
العاطفي ، على نحو ما نشاهد عند الشاعرات الكييرات
« فدوى طوقان » الفلسطينية و « نازك الملائكة » العراقية
و « جلييلة رضا » المصرية ، على اختلاف في المزاج الشعري
ومعدن التعبير وحالات النفس عند الشاعرات الثلاث
فالشاعرة فدوى طوقان في ديوانها « وحدي مع الايام »
الصادر سنة ١٩٥٢ وديوان « وجدتها » الصادر في سنة
١٩٥٧ نلمحها شاعرة عاطفية حارة بالغة البساطة والتلقائية
بل والصراحة في حرارة وقادة ووجدان نافذ على نحو ما
نحس في الكثير من روائعها مثل قصيدة « محراب
الاشواق » من ديوان « وحدي مع الايام » :

هذا مكانك ههنا محراب اشواقى وحبي

كم جثته والدمع ، دمع الشوق مختلج بهدي

الى ابناء العروبة في كل قطر
الى رجال الفكر والادب في كل مكان
الى العاملين من اجل الانطلاق والتحرر ... يقدم الاستاذ

علي مصطفى المصراي

كتابه الفذ الجديد

شاعر من ليبيا

ابراهيم الاسطى عمر

١٩٥٠ - ١٩٠٧

دراسة ادبية وافية عن شاعر ليبيا النابغ ووطنيته المشبوبة وقصة
حياته المؤثرة وعصاميته النادرة مع نشر كافة قصائده وتحليلها والتعليق
عليها بأسلوب ادبي سلس لا يجارى .

منشورات مكتبة الشرق

طرابلس الغرب - ليبيا

ص . ب : ٢٥٥

يتوارى معه التحفظ وكبت النفس فينتطلق في شعور
وجداني صريح دافق مثل قولها في قصيدة « نغمسات
مرتعشة » ص ١٤ من ديوان « عاشقة الليل » :

عد .. لم يزل قلبي نشيطا حالما
يشدو بحبك لحنه المفتون
عد فالكأبة اغرقت بظلامها
روحي فليبي ادمع وشجون !
عد .. لا تدع نفسي يعذبها الاسى
ويعض فيها خافق محزون !
عد فالحياة اذا رجعت اشعة
ومشاعر سحرية وفنون .

★ ★

خطواتك اللاتي تباعد رجعا
في مسمعي تحت الظلام الشاحب
كلماتك اللاتي تلتشى وقعا
وخبث بعيدا في السكون الرابع
بسمائك اللاتي خبت ومضاتنا
في مقلتي مع النهار الذاهب !
ذابت جميعا ... والستائر اسدلت
في مسرح الامل الجميل الغارب

★ ★

ذهب النهار بشاعري بنشيد
وبقيت في غسق النهار القاتم
ارنو ولا شيء يروق لناظري
واصيح .. أين ملاحمي وملاحني ؟
عد ! عد الى روحي الغريب فادمعي
عصفت بأفراحي وقلبي الساهم
عد يا نشيدي الشعاري لمسمعي
ماذا يعوض عن صداك الحالم

★ ★

حيي الالهي النقي ظلمته
ووفاء روحي الشعاري العابد
قلبي الرقيق ... اسأت فهم خينه
ونشيد احلامي وروح قصائدي
لم أدر ماذا كان الارعشة

في روحي الولهي وقلبي الشارد
وخلا المكان ، وعدت اسأل وحشتي
عن طيفك الناسي وحيي الخالد

★ ★

ما زلت منذ ذهبت جري في الدجى
شهد الاسى اني لومت مكانيا !
ما زال روحي راعشا ... متمزقا
يستنطق السر الغريب الخافيا
وهمي يصور لي خطاك ووقعها
فاذا اصخت صحوت من اوهايا
لا شيء غير الريح تعصف في الدجى

ذنبى؟ وما ذنبى؟ ألا ويلاه من ظلم القيود
ما حيلتي والغل في عنقي على جبل الوريد
أواه حتى انت لم تنصف هوى قلبي الشهيد !
أواه حتى انت تظلمني مع القدر العنيد !

★ ★

قلبي يشن ، يلوب من ألم ، يبائل في شرود
لم لا يعود ؟ فلا يجيب سوى صدى : « لم لا يعود » ؟
وأروح في شفتي اشعار وفي كفي عود
وأعاب الأيام ... والزمن المفرق .. والوجود !

★ ★

لم لا تعود أنا هنا وحدي بهيكل ذكرياتي
وحدي ولكني احسك في دمي في عاطفاتي
اصفي لصوتك .. للصدى المنفوم في اغوار ذاتي
وأراك من حولي ، وفي ، وملء آفاق الحياة ..

فهذه القصيدة تدور حول نفس المعاني الكلية التي
تدور حولها قصيدة عتاب لجميلة العلالي ، ولكن اي فارق
في القوة والحرارة ؟ وفي الرفاهة الشعرية التي تميز
التعبير المباشر عن التعبير المتحلل على لسان الغير .
وأما نازك الملائكة فنلمح من خلال دواوينها الثلاثة «عاشقة
الليل » الصادر في سنة ١٩٤٧ و « خطايا ورماد » الصادر
في سنة ١٩٤٩ و « قرارة الموجة » الصادر في سنة ١٩٥٧
نلمح من خلال هذه الدواوين الثلاثة وجدانا عصيا مركزيا
أميل الى الغموض والرمز ، ولكنه مع ذلك وجدان حار متقد

لقد شاهدتها الملايين!
ولم يقرأها أحد بعد!!

ذهب مع الريح

القصيدة العالمية الخالدة التي سحرت
الملايين على الساحة الفضية تعود اليكم في اجمل
كتاب اضرهته روبرت لورنزا الموسم .
قدمها الى القراء العرب الكاتب المصري الكبير الاستاذ :

يوسف السباعي

٥٠٠ صفحة من القطر الكبير - الثمن ٥٠٠ ق.ن.

مطبوعات :
مؤسسة الحاجي بالقاهرة - الكتب التجارية - بيروت

لا شيء .. غير تنهدي ... وبكائيا

اما شاعرتنا المصرية المعاصرة السيدة جلييلة رضا صاحبة ديواني « اللحن الباكي » الصادر سنة ١٩٥٤ و « اللحن الثائر » الصادر سنة ١٩٥٧ فيلوح لنا انها بحكم تجاربها في الحياة كسيدة لا كفتاة وبحكم ظروف حياتها الخاصة قد استطاعت أن تعبر عن الوجدان النسائي في بعض قصائدها تعبيرا يختلف في نبراته عن تعبير الرجال عن وجدانهم الخاص ويتسم بقسمات تختص بها الانوثة دون غيرها ، ولعلنا نلمح كل هذا اوضح ما يكون في قصيدة مركزة مثل قصيدة « لقاء في الطريق » ص ١٠٣ من ديوان « اللحن الثائر » حيث تقول :

اي المشاعر في الدماء تدفقت حين التقينا بعد هجر مؤلم
وأبى السلام ، أبينه من قبل أن يدنو .. يمر علي غير مسلم
وكذا تشابه في الخصام شعورنا كالمس في وصل وحب مغمم
اعطينه ظهري وكم ملك السذي في الصدر من قلب توهج بالدم
ووقفت صامتا أحرك في يسدي مفتاح بيتي او اساور معصمي
وخشيت ان ارنو اليه وطالما أفرقت عيني في سنه المظلم
ورجفت حتى لو تلمس اصبعي لهويت فوق الارض كالنحطلم
كم امنيات عريدت في خاطري لو انني حققتها لم اسلم
فلو استطعت على الخدود صفته ثم انثيت بقلبتين على الفم
ولو استطعت سخرت منه شتمته وركمت فوق خطاه كالنندم
يا انت ، لا تقتر ، لست ملومة أهواك حب الام لابن مجرم
فمن الواضح أن هذا شعر وجداني لا يمكن ان تقوله
الا امرأة اکتوت بتجارب الحياة وعرفت حلوها ومرها كما
يلوح ان شاعرتنا جلييلة رضا قد فعلت .

وعندما نصل الى هذا الشوط في مراجعة المرحلة الواسعة التي خطاها شعر الوجدان النسائي منذ عائشة التيمورية حتى السيدة جلييلة رضا لا نستطيع الا ان نعود لنقتبس من دراسة المرحلة مي زيادة لشعر التيمورية وديوانها « حلية الطراز » فقرة تكاد تكون نبوءة من الانسة مي وهي الفقرة التي تختتم بها حديثها عن شعر الغزل عند التيمورية وتدافع فيها عن حق المرأة في ان تقرض الشعر الوجداني باعتبار انها تقسم الانسانية مع الرجل فتقول : « اننا نحن الجهة المقابلة في الذات الانسانية الواحدة نختبر ما لا يعرفه الرجل كما ان بعض اختبارات مولانا (تعني الرجل) تظل ابدا مغلقة علينا . واذا قدر للمرأة المصرية ان تلج هذا الباب وتمعن في المسير كان مرجع الفضل الى التيمورية التي نشرت اول علم في الجادة غير المطروقة وبكرت في ارسال الزفرة الاولى حيث كانت تكتم الزفرات ويوم ينمو الادب النسائي في بلادنا فيجيء حافلا بحياة فنية غنية ستظل اناشيد عائشة - هذه الاناشيد الساذجة - لذيدة محبوبة كترنيمة المهد القديمة التي هممت لنا بها امهات امهاتنا شجية مطلوبة كشدو القصب القائل : ان وراء المشاغل يظل القلب البشري مثقلا بحنين وظما لا يعرفان النفاذ »

ليرة

تململ في يأسه كالسجين وحسن الى داره
وأطرق لا يستبين رمادا على ناره
غزته مواكب من ذكريات تموج بأسرارها
فغاص بتيارها
وضاع بأغوارها
وجاء الصباح يرش العطور ويلثم خد الزهور
ويغمر بالنفحات الصخور
ويحدو الخمائل في دارها
فلم يتحرك لديه وطرر ولم يختلج في يديه وتر
ولم يوقظ الوجد في شعره
ولم يبعث الميت من قبره
لماذا تراقص هذي الربى وتهزج ريح الصبا ؟
لماذا تغني الطيور
وتهفو لاوكارها؟

ويسأل عن امسه الحالم ويبحث في فجره الباسم
فلا يتلقى جواب
سوى نغمة من غراب
يطير وراء الضباب
ولا يترامى اليه صدى
وينتشر الهول في دربه
وينهشه الف ناب وناب
ويهدر في شفثيه سؤال تقطعه دفقة من سعال
سؤال جريح تمطسى فحيح :
لماذا اهدهد حلم الشباب ؟
لماذا اسير وراء السراب ؟
ويغرق في قيده ثانيه تغالبه دمعة قانيه
لماذا ؟ وتزار في نفسه عواصف هوجاء من يأسه
لماذا اهدهد حلم الشباب ؟
لماذا اسير وراء السراب ؟

*

فيا غصة الوجد في جفنه ويا ثورة الحقد في لحنه
دعيه يللم شظايا المساء
ويبين على ترهات الرجاء
قصورا وراء القضاء
فقد آن أن يستريح
ويخلص من حيرة الخاطي
ويغفو قريبا على الشاطي

زكي فنصل

الارجنتين

محمد مندور

القاهرة